***محاضرة (٢)***

**********

**المادة: علم اللغة ((اللسانّيات))**

**التاريخ: ٢٠١٩/١٠/١٤**

**الأستاذ المساعد الدكتور: ظافر كاظم**

**قسم اللغة العربية/ كلية التربية للبنات**

**// جامعة البصرة // *********

## (( نشأة اللسانيات وتطورها )):

قبل نشوء اللسانيات التي تعد المرحلة الثالثة من مراحل الدرس اللغوي في الغرب سبقت بمرحلتين:

**الأولى:** مرحلة الاهتمام بالقواعد وقوانين الصحة اللغوية التي بدأها الاغريق وهدفها وضع القواعد الصحيحة للغة، وبداية هذه الدراسة هي القرن الخامس قبل الميلاد.

**الثانية:** مرحلة فقه اللغة التي أطلقت على الحركة التي بدأها **(ولف) WOLF** في **عام١٧٧٧م** واستمرت فيما بعد، وعنيت بتصحيح النصوص المكتوبة وشرحها والتعليق عليها، وشجعت أصحابها على الاهتمام بالتاريخ الأدبي وبالعادات والتقاليد والنظم الاجتماعية وغيرها.

أما اللسانيات فقد بدأت بعد اكتشاف **(وليام جونز) WILLIAM JONES (١٧٤٦- ١٧٩٤م)** القاضي الإنكليزي في المحكمة العليا بالبنغال **عام ١٧٨٦م** التشابه بين اليونانية واللاتينية واللغة السنسكريتية وإعلانه أنّ هذه اللغات تنتسب إلى فصيلة واحدة هي فصيلة اللغات الهندوأوربية. وقد كان هذا الاكتشاف هو الأساس

الذي انطلقت منه اللسانيات أو الدراسة الحديثة للغة، لتتسع بعد ذلك ميادين الدراسات اللغوية وتتعدد موضوعاتها.

ومنذ " مطلع القرن التاسع عشر الميلادي أخذت الدراسات اللغوية الغربية تخطو خطوات واسعة، فانجزت في سنين ما لم تنجزه في قرون. ولم يقتصر تقدم هذه الدراسات على شكل واحد من أشكال الثراء والعطاء، وهو غزارة الدراسات وتنوع الموضوعات، بل جاوز الغزارة في المدروس إلى التعدد في المدارس، والكثرة في المقدار إلى التجديد في المناهج ".

وكان أول الدراسات التي بدأتها اللسانّيات هي تلك التي تعُنى بـ " معرفة الصلة بين اللغات، وتطوراتها التاريخية ".

ويشير الدارسون إلى أنّ التصورات العلمية التي سادت في القرن التاسع عشر قد أثرت في مناهج أكثر لغويّي ذلك العصر وفي نتائج دراستهم، لذا عدوا هذا القرن قرن النزعة التطورية والعلوم الطبيعية وهو فترة عظيمة من فترات **(التاريخ للظواهر)** المختلفة في الدراسات المختلفة. وكان لنظرية **(دارون)** وللعلم الطبيعي أثرهما في دراسة التغيرات اللغوية على وجه الخصوص.

وقد انعكست هذه الحركة اللغوية إيجابياً على اللغات الشرقية عموماً واللغة العربية على نحو خاص بعد أن تكونت شيئاً فشيئاً " الحلقات الكثيرة لدراسة اللغات الشرقية، وساعدت كثيراً على تنمية المقارنة بتلقينها العدد الكبير من لغات الشرق للطلبة ".

وبرز عدد من الباحثين الأجانب الذين كانوا على دراية واسعة باللغات الشرقية كاللغويّ الفرنسي **سلفستر دي ساسي (١٧٤٦- ١٧٩٤م)** الذي كان ملماً باللغة العربية وقواعدها، وكان له أثر كبير في عدد من الباحثين اللغويين من رواد المنهج المقارن أمثال **(بوب)** الذي كان هو الآخر على دراية جيدة باللغة العربية.

وصدرت كتب على درجة عالية من الأهمية تناولت العربية الفصحى وتطورها ونظيراتها الساميّة ولهجاتها العربية القديمة مثل كتاب **(فيلولوجيا اللغات السامية)** لبروكلمان، وكتاب **(التطور النحوي للغة العربية)** لبرجشتراسر الذي اتسم بالتحليل الدقيق لمظاهر التطور الحاصل في بنيتها الصوتية والصرفية والاشتقاقية والتركيبية على نحو لم يوجد مثيله في المؤلفات العربية. ومن هذه الكتب ايضاً **(العربية الفصحى)** لهنري فليش ومؤلفات أخرى كان لها فضل كبير في جذب انتباه الباحثين العرب لكثير من القضايا التي تخص العربية وأسهمت في تحفيز الدارسين على إعادة النظر في كثير من قضاياها وموضوعاتها. وأدت فيما بعد إلى ظهور مؤلفات عربية رائدة كانت على قدر كبير من الجدة والدقة وأسهمت على نحو فاعل في نهوض الدرس اللسانّي العربّي وإن تأخر ذلك عن نظيره من الدراسات اللغوية الأجنبية. مثل: **(في اللهجات العربية)** و**(من أسرار العربية)** و**(الأصوات اللغوية)** لإبراهيم انيس، و**(مناهج البحث في اللغة)** و**(اللغة العربية معناها ومبناها)** لتمام حسان، ومؤلفات أخرى.

وقد مهدت تلك الدراسات التاريخية والمقارنة لظهور دراسة من نوع آخر جاءت على يد اللغوي السويسري الأصل **(فريدنان دي سوسور)** الذي سجل نقطة تحول جديدة في الدراسة اللغوّية، فبدأ على يده عصر اللسانيات الوصفية البنيوّية، وكان لكتابه **(علم اللغة العام)** الذي نشر مطلع القرن العشرين على يد تلامذته بعد وفاته أثر بالغ في تطور الدرس اللسانّي المعاصر بعد أن انبثقت من أفكاره وتصوراته مناهج لغوية جديدة ، وشهدت العقود الخمسة اللاحقة التي تلت نشر هذا الكتاب "تقدماً شطاً لم يسبق له مثيل وتنقيحاً أساسياً للعلم اللساني" ، لذا عده كثير من الدارسين " رائد طرق البحث الحديثة في علم اللغة " ، ويمثل تاريخ صدور

**كتاب سوسور في عام (١٩١٦م)** نهاية **المرحلة الأولى** من الدراسات اللسانّية وهي مرحلة اللسانيات التاريخية المقارنة، وبداية **المرحلة الثانية:** مرحلة الدراسات الوصفيّة البنيويّة التي امتدت إلى عام ١٩٥٧م وهو العام الذي أصدر فيه اللسانّي الأمريكي المعاصر **(نعوم تشومسكي)** كتاب **(البنى النحوية)** ليبدأ به **المرحلة الثالثة** من مراحل الدراسة اللسانية وهي مرحلة اللسانيات التوليدّية التحويلّية.

ولم تزل الدراسات اللسانية تتوالى وتتعدد فيها الآراء والمناهج والاتجاهات، وهي على اختلافها وتنوعها كان لها الفضل في تخليص الدراسات اللغوية " من الآراء الواهية والمواقف المتحيزة والخرافات " ، ولم يعد هناك مجال للحديث عن كثير من الأوهام، فلا لغة في العالم أفضل لغوياً من لغة أخرى، ولغة كل مجتمع هي اللغة الأمثل لتخاطبه. ولا مجال للحديث عن جمال لغة وقبح أخرى، أو سهولة لغة وصعوبة أخرى ، وإنما يتحدد ذلك بمدى قربها أو بعدها عن اللغة الأم. وأصبح من الواضح اليوم أنّ كل لغة قادرة على تطوير نفسها والتكيف مع متطلبات مجتمعها على جميع المستويات والنواحي الحضارّية والعلمّية والتكنولوجّية.

كما رفضت اللسانيات " تقويم اللغات بموجب أنظمتها الكتابّية ووصفها صوتياً وصرفياً ونحوياً من خلال أدبياتها المكتوبة فقط ". فـ " الهدف الوحيد الذي يسوغ وجود الكتابة هو التعبير عن اللغة ". والكتابة ما هي " إلا تمثيل للكلام، الكلام لحم اللغة ودمها، والكتابة رداء الترف الذي ترتديه اللغة لاستكمال متطلباتها الحضارية لا اللغوية ". وبهذا تخلص الدرس اللسانّي من وهم آخر وجد منذ أقدم الأزمنة وانعكس على الآراء التي قيلت في موضوع اللغة.

وتسعى اللسانيات اليوم إلى أن تقترب بعلم اللغة من العلوم التجريبية المتخصصة كعلم الحيوان وعلم النبات وعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء وعلم الفيزياء ... إلخ ، لذا فإنّها تستعين بكل ما يمكن أن يساعدها على تحقيق هذه الغاية كالنتائج التي توصلت اليها العلوم الأخرى والاكتشافات الحديثة على اختلافها وتنوعها وكذلك الأجهزة والمعدات التي أفرزتها عجلة التقدم العلمي والتكنلوجي.

ومما يسعى إليه البحث اللغويّ اللسانّي التوصل إلى نتائج " يمكن التحقق منها تجريبياً، تقوم على نظرية لغوية عامة ". فالظاهرة اللغوية " تعرض في التخصص **(علم اللغة)** وفق مبادئ مؤسسة على نظرية العلم: نظرية علم اللغة ". وبهذا يتضح أنّ المراد بكلمة **(علم)** في مجال **(علم اللغة)** هو المفهوم العلمي الدقيق للكلمة وليس المفهوم العام الذي يعني الدراسة على نحو مطلق. ومن هنا يتصل علم اللغة الحديث – اللسانيات – "اتصالاً وثيقاً بالعلوم الأخرى فهو يأخذ منها في بعض الأحيان كما يقدم لها شيئاً من المعطيات، فالخطوط التي تحد هذه العلوم قد لا تكون دائماً واضحة متميزة ". ومن أبرز هذه العلوم: الاجتماع والنفس وعلم الطبيعة وعلم وظائف الأعضاء والجغرافية، وعلوم أخرى أيضاً كالطب والحاسوب والرياضيات التي أصبحت تقاسم اللسانّيات بعض مجالات الاهتمام وترفدها بما يساعدها على تحقيق الدقة العلمية. ومع إفادة البحث اللسانّي من معطيات العلوم الأخرى واستعانته بنتائجها فإنه علم مستقلٌ بذاته، ينطلق من معطيات مادته، وليس من مبادئ لا تنسجم مع طبيعة اللغة، ولا يقيمها بناءً على مفاهيم لا تتفق معها.

وتستقي اللسانّيات حقائقها من النظر في اللغات على اختلافها وتحاول أن تصل " إلى فهم الحقائق والخصائص التي تلتقي عندها وتجتمع عليها اللغات الإنسانّية كلها " ، ولهذا أصبحت اليوم " هي الأكثر تقدمية من بين العلوم الإجتماعّية، بسبب

بنائها النظريّ، فضلاً عن دقة مهمتها، وعلاقاتها الهامة بالفروع الأخرى ". ونسب لها بعض اللغويين المعروفين مثل **(بيرس)** " **موقعاً ممتازاً بين دراسات منجزات العقل ونتاجاته** ".

ولأّنه ليس بإمكان نظرية واحدة " أن تفسر جميع الظاهر اللغوية تفسيراً كاملاً ، وتضع القواعد الكاملة، سواء تلك القواعد التي تتعلق بالتراكيب الصرفية والنحوية، أو تلك التي تتعلق بالمفردات وبنظام المعاني أو الدلالة " . ولأّن الأغراض التي تدعو إلى دراسة اللغات كثيرة ومتعددة ولكل غرض " منهج يكون الوسيلة المثلى لتحقيقه فلا يصلح غيره لأن يحل محله أو يكون بديلاً منه ". تعددت المناهج والاتجاهات وتعددت معها أيضاً وجوه النظر وطرق الدراسة، إذ كانت الظاهرة اللغوية تشبه في طبيعتها " المكعب لا يكفي لوصفه أن نسلط عليه الضوء من نور مصباحٍ واحدٍ يضئ سطحاً واحداً من مساحاته وتختفي عندئذٍ أسطحه الأخرى" وكان على الباحث اللغوي أن " لا يكتفي في دراسة لغة ما بأن ينظر إليها في ضوء منهج معينٍ، وإّنما يحسن به أن يحتاط لنفسه فيكون على ذكرٍ من أحكام المناهج والاتجاهات الأخرى " ولاسّيما مع غزارة النتاج اللساني وتنوع موضوعاته والثورات التي شهدها في النظر إلى اللغة وطريقة دراستها.

ومع كون " الوضع الابيستمولوجي لمختلف هذه النظريات اللسانّية غير موجه نحو المتعلم" ولا يهدف أصالة إلى خدمة أغراض تطبيقية كتعليم اللغات والترجمة، لم يكن يتوقع أن تعود اللسانيات بفائدة كبيرة في هذه المجالات ولاسّيما مع تشكيك بعض اللسانيين أنفسهم بإمكانية الإفادة من نظرياتهم في خدمة هذه الأغراض إلا أنّ الواقع يثبت العكس تماماً إذ عادت هذه النظريات بفوائد جليلة استثمرت في مجال

تعليم اللغات والترجمة وأفادت كثير من الدول مما جاءت به هذه النظريات في مجال التعليم وسعت إلى إدخالها في مناهجها الدراسّية .

ولا يمكن بحال من الأحوال حصر فوائد الدراسات اللسانية " فهناك فوائد تتعلق بدور علم اللغة في الدراسات الأدبّية، وفوائد تتعلق بصنع المعاجم، وأخرى تتعلق بتحسين النطق أو الكلام وتقويم ما اعوج من اللفظ، كما أنّ هنالك ما يتعلق منها **بالكلام المصطنع ARTIFICIAL SPEECH** ومنها ما يتعلق بتحسين التفاهم بين البشر إجمالاً " ، إلا أنّ الفائدة الكبرى للسانّيات تكمن في تجنبها كثيراً من الأخطاء المنهجّية التي وقعت بها الدراسة التقليدية – مرحلة ماقبل اللسانيات – ولاسّيما الاهتمام ببعض جوانب اللغة دون غيرها، وقد أعادت اللسانيات النظر في كثير من مسائل اللغة ومباحثها من أجل تكوين نظرة لغوية أكثر دقة وانسجاماً مع الحقائق العلمّية وأهداف البحث العلمّي.

***<u>أبرز مصادر المحاضرة:</u>***


- الاتجاهات الأساسّية لعلم اللغة: رومان جاكبسون.
- أضواء على الدراسات اللغوّية المعاصرة: نايف خرما.
- الجملة العربية في ضوء الدراسات اللسانّية: د. ظافر كاظم.
- شظايا لسانّية: د. مجيد الماشطة.
- علم اللغة العام: فرديناند دي سوسير.
- اللسانّيات والبيداغوجيا: محمد آيت أوشان.
- اللسانّيات في الثقافة العربّية الحديثة: د. مصطفى غلفان.
- المدخل إلى علم اللغة: كارل بونتنج.
- المدخل إلى علم اللغة: د. رمضان عبد التّواب.
- مدخل إلى اللسانّيات: د. محمد محمد يونس.
- مناهج البحث اللغويّ بين التراث والمعاصرة: د. نعمة العزاوي.